مَكرُمَةٌ

هبطَ الَّليلُ على شرفات المدينة، استوى على أرصفةِ
المشرَّدين، سجا دجاهُ في ردهات المُعدَمين، سرى في قلوب
المظلومين، عبَرَ الأوردةَ والشَّرايين، غصَّتْ به الحناجرُ،
وتوجَّفَتِ المحاجرُ، ومازلتُ أبحثُ من خلف زجاجِ نافذتي
عن طيفِك، أنزعُ مساميرَ الوجع من ضفافِ الشَّوق،
أسترشدُ متاهات الغياب عن ثوب القصائد، عن ظلال
الحروف، عن الغيوم المُثقلةِ بالوعود، أستلهمُ الرُّوحَ في
أنفاس السَّهر، أستمطرُ السَّماءَ رائحةَ الحضور...
مُتعبَةٌ أنا حدَّ الانهيارِ بغيابك، جراحي طاعنةٌ في الألم،
شهيقي محروس بالَّلهفة، أملي مرصودٌ على فزَّاعات الخزامى،
وبين اوراق الحَور والصَّفصاف، يكتنفُه لمعانُ البرق،
وفرقعةُ الرَّعد، مواسمُ مطرٍ بلَّلَتْ ضفائرَ صبري...
ذات يومٍ... قبضْتُ على ياقة قميصِك، منعْتُك من السَّفر
لتؤمِّن لنا رغدَ العيش، ولكنِّي تسمَّرتُ راضيةً، وهم
يحملونك على الأكتاف مودِّعين، رأيتُ يدَيكَ تلوِّحان لي
بأغصان الرَّيحان والورود...

لستُ قدِّيسةً يا ولدي لأتناسى حزني وأفرح لك بمنزلة الشَّهادة، قلبي منفطرٌ لغيابك، تمرُّ الثَّواني من سمِّ إبرةٍ أكلَها الصَّدأ، وعلى رؤوس الشَّوك تسيرُ بأقدامٍ حافيةٍ... لن أيأَس؛ مع كل نبضٍ يحدوني الأملُ بلقياك.

****